

الأمير عبد القادر: إشكالية الهوية والحدثة في تأسيس الدولة الجزائرية
— قراءة فلسفية في نموذج تأسيس

Emir Abdelkader: The Problem of Identity and Modernity in the
Establishment of the Algerian State – A Philosophical Reading in a
Foundational Model

بغدود مريم¹

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، drbaghdoudmeriem@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/02/05 ؛ تاريخ القبول: 2025/04/11 ؛ تاريخ النشر: 2025/06/01

المخلص باللغة العربية:

في سياق إعادة تقييم الحدثة الجزائرية، يبرز الأمير عبد القادر كشخصية فلسفية وسياسية فذة، نجح في تأسيس كيان دولة حديثة رغم التشرذم الحضاري الذي خيم على وطنه، وتعمقت إشكالاته مع الغزو الفرنسي. ولم يكتف الأمير بمواجهة التحدي العسكري، بل صاغ رؤية فلسفية تستند إلى توحيد الهوية الجمعية عبر التئام القبائل المتناحرة تحت مظلة الثوابت الدينية والإرادة المشتركة لمواجهة الاستعمار.

وتمثلت دولة الأمير عبد القادر كمشروع نهضوي مركب، يجمع بين الأصالة الإسلامية (من خلال تطبيق أحكام الشريعة وقيم العدل) ومبادئ الحوكمة العقلانية القائمة على "الشورى" كآلية للحوار السياسي، مع صوغ رمزية وطنية متجذرة عبر علم وعملة وختم يعبرون عن الاستقلالية. كما أسس هياكل دولة مؤسساتية ك"المجلس الشوري" الذي نظم الإدارة عبر تقسيم تراي ووزارات متخصصة، مما يشي ببذور عقلية دولية حديثة قبل قرن من نظيراتها العربية.

لم تكن رؤيته مادية فحسب، بل اتسمت بأبعاد إنسانية أخلاقية، حيث مثل الأمير نموذج "الحاكم الفيلسوف" الذي يربط بين الإصلاح السياسي والتهديب الأخلاقي،

بغدود مريم[♦]

فشكل دولته ككائن حي يجسد التوازن بين السلطة والرحمة. بهذا التماسك بين الفكر والممارسة، يعبر الأمير عبد القادر كـ"مفكر تأسيسي" حول المآزق التاريخي إلى مختبر لتجسيد فلسفة سياسية إسلامية متجددة، تعيد تعريف الحداثة خارج النموذج الغربي، مرتكزة على ثنائية "الهوية الروحية" و"العقلانية التنظيمية"، لتبقى تجربته مرجعية لفهم إمكانات الحداثة المرتبطة بسياقها الحضاري.

الكلمات المفتاحية:

الحداثة؛ الهوية؛ الأمير عبد القادر؛ الشورى؛ العنف؛ الدولة

Abstract: In the context of re-examining Algerian modernity, Emir Abdelkader emerges as an exceptional philosophical and political figure who succeeded in establishing a modern state entity despite the civilizational fragmentation that loomed over his homeland—a crisis exacerbated by French colonization. The Emir transcended mere military confrontation, crafting a philosophical vision rooted in unifying collective identity through reconciling warring tribes under the umbrella of religious constants and a shared will to resist colonialism.

Emir Abdelkader's state embodied a composite civilizational project, blending Islamic authenticity (through the application of Sharia principles and values of justice) with rational governance based on *Shura* (consultation) as a mechanism for political dialogue. This was coupled with the creation of deeply rooted national symbolism—a flag, currency, and seal expressing sovereignty. He also established institutional state structures, such as the *Consultative Council (Shura)*, which organized administration through territorial divisions and specialized ministries, hinting at the seeds of a modern state mentality a century before its Arab counterparts.

Keywords: modernity; Emir Abdelkader; War; Violence; Politics;

مقدمة:

يمثل تأسيس الدولة اشكال وجودي لازم الانسانية منذ العصور القديمة حتى راهن الحاضر، فالدولة ليست كيان سياسي فحسب، بل مشروع حضاري تجسد فيه الشعوب تصورها عن العدالة والهوية والسلطة. وفي السياق الجزائري، شكل الحكم العثماني (قبل ظهور الامير عبد القادر) نموذج تناقضي بين غياب الشرعية الشعبية وانهايار العقد الاجتماعي، حيث عاش الجزائريون تحت نير حكم اجنبي اتسم بثنائية الاستبداد والفوضى: امن هش يعقبه اضطراب، وضرائب باهظة تغذيها صراعات قبلية.

وبحلول القرن التاسع عشر، بلغ التشردم الحضاري ذروته: سياسي تحولت النخبة الحاكمة الى طغمة انتهازية تقدم مصالحها على مصلحة الوطن، وعسكريا انهارت هيبة الاسطول الجزائري بعد معركة نافيرين (1827)، مما فتح الباب امام التهديدات الخارجية. اما اجتماعيا، فقد انتشر الانهيار الاخلاقي (السرقه، الجوع، الوباء) كنتيجة لغياب العدالة وتفكك النسيج المجتمعي.

وفي ظل هذا الفراغ الوجودي الذي يتجسد في غياب الدولة، وتفكك الهوية، واختفاء المشروع الحضاري، برز اعقلية لأمير عبد القادر كشكل فلسفي يجيب على الإشكال التالي: كيف يجمع الأمير عبد القادر بين مقومات الهوية ومطالب الدولة الحديثة ؟

1- بناء الأمير للدولة الجزائرية الحديثة: فلسفة الحكم بين الشريعة والحداثة

لقد كانت أوضاع المجتمع الجزائري عند تولي الأمير مقاليد الحكم مزرية، كما يتضح من شهادة رجال الدين المرابطين لمحي الدين: "كان نظام الأتراك قد سل وسحق قوانا" (برونو إيتين، 2001: 135).

يؤكد هذا القول أن الجزائر كانت تعيش أزمة سياسية حادة أفضت إلى تداعيات خطيرة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية، إذ افتقد الإنسان آنذاك أسس الاستقرار الوجودي، متمثلة في الأمان والسلم الداخلي. لقد خضع الجزائريون لسيادة الأتراك على مدى قرون طويلة، تميزت بـ"اللاعدل وخدمة مصلحة الأقلية الموالية لهم"، مما أدى إلى تآكل البنية السياسية للبلاد، وجعلها عرضة للاستعمار الفرنسي. كما أن انسحاب الأتراك ترك "فراغاً سياسياً" عميقاً، ما استدعى تعيين محي الدين على رأس المقاومة، غير أن تقدمه في السن دفعه إلى تقديم ابنه الأمير عبد القادر ليحمل عبء المواجهة التاريخية.

استقبل الجزائريون الأمير عبد القادر بفرح وأمل، فقد رأوا فيه القائد المنتظر الذي سينقذهم من الاستبداد والتشردم. فقد عبروا له عن معاناتهم أثناء الحكم التركي، إذ وصفوهم بأنهم "ظالمون ولم يحققوا السلم والأمان"، وأنهم كانوا يعيشون "حياة الهمجية"، فرغم انتماؤهم للإسلام، إلا أن "صفة وأخلاق المسلمين وأعمالهم لا تراها فيهم إلا أحيانا قليلة"، مما يعكس تلاشي القيم الأخلاقية والمؤسسية في ظل حكم الأتراك.

قبل تولي الأمير عبد القادر، خضعت الجزائر لفترة حكم السلطان المغربي، حيث إن "الحاكم المغربي قد بادر إلى التحرك والتنظيم بسبب ما كان يكفله له وجود حماية مادية، تمثلت في الهيكل العسكري الذي كانت توجهيات الشيخ محي الدين قد وفرتة للبلاد" (عشراتي سليمان، 2009: 125). ورغم أن السلطان المغربي لم يجد في البلاد "كلها أي فوضى"، إلا أن البنية التنظيمية التي وضعها محي الدين لم تكن كافية لتحقيق الاستقرار السياسي العميق، وإنما وفرت فقط "بعض الجوانب المادية"، وهو ما مكّن من استمرارية "ساسة البلاد وتسييرها وتوجيه شعبها" وفق ما كان متاحًا.

إلا أن السلطان المغربي لم يواصل إدارة الجزائر، بل تخلى عن الحكم، مما ترك "فراغًا سياسيًا"، فتولى الأمير عبد القادر زمام الأمور، مكرسًا رؤيته الإصلاحية في بناء الدولة وإعادة تشكيل النظام السياسي، إذ "فقد كانت المهمة التأميرية حدثًا بكرًا، إذ لم يسبق لأجيال وأجيال من سكان أرض الواسطة أن مارسوا تجربة حكمهم لذاتهم بذاتهم" (عشراتي سليمان، 2009: 128).

2- التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

عَيَّنَ الأمير عبد القادر الجزائري حاكمًا جديدًا للمجتمع الجزائري، وقد أسس مرحلة تاريخية طويلة قادتها شخصيات غير محلية — أي من جنسية غير جزائرية. وهنا يبرز التساؤل الفلسفي العميق حول ماهية الولاء الوطني مقابل مصالح الفرد؛ فالأجنبي، الذي يسعى غالبًا لتحقيق مصالحه الشخصية، لا يشعر بالانتماء الحقيقي لتلك الأرض، بينما يحمل الحاكم ابن الوطن شعورًا بالمسؤولية والغيرة على بلاده، وهو ما يعكس البعد الأخلاقي والوجودي لحياة الإنسان في مواجهة تحديات الانتماء والهوية. إذ أن الأجنبي، عند دخوله في فلك الاستعمار، يستعد للعودة إلى وطنه الأصلي، بينما يتعهد الحاكم المحلي — في إطار (التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) — بحماية أرضه ونهوض شعبه بروح فلسفية تتجاوز مجرد إدارة شؤون الدولة.

ينتمي الأمير إلى أسرة محي الدين، "ولقد تأتى لرجال أسرة محي الدين أن يسافروا ويطلّعو على أحوال البلاد الإسلامية". (عشراتي سليمان، 2009: 83)؛ وهذه العبارة لا

تكشف فقط عن ميوله الاستكشافية، بل تؤكد على أن الرحلات لم تكن مجرد تجوال جغرافي، بل كانت مسيرة فكرية وسياسية تهدف إلى استنباط قيم حضارية وأسس فلسفية لفهم سياسة الأمم ومصير الشعوب.

وقد ساهمت تجاربه الواسعة في إثراء رصيده الفكري والسياسي، إذ قال: " أن اضطلاعاً على الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية أثناء رحلته إذ كَوّن رصيذاً مهماً يسّر عليه دون شكّ العمل باتجاه خلق الهياكل الإدارية والقيادية والتأطيرية" (عشراتي سليمان، 2009: 120). هنا يظهر جانب فلسفي في إدراكه لأهمية بناء مؤسسات قائمة على مبادئ العدالة والمشاركة، بعيداً عن أساليب الاستبداد والتعسف.

وبناء على السليبيات العديدة التي رصدها في الحكومة التركية، سعى الأمير إلى تجاوزها واستبدالها بنموذج أفضل مستفيداً من إيجابيات بعض السياسات التي اطلع عليها خلال رحلاته، مثل السياسة المصرية. وكان ذلك تجسيداً لفلسفة جديدة ترى في التجديد السياسي طريقاً لتحقيق كرامة الأمة وإعادة تأصيل القيم الإنسانية.

ومن بين إيجابيات حكومة الأمير مقارنة بالحكم التركي "أنّه كان يتخذ جميع القرارات الهامة في حياة الأمة على أساس شوري، بدون استبداد أو تعسف لرأيه" (عوني أحمد وآخرون، 1996: 66). ويبرز هنا مفهوم الشورى كقيمة فلسفية ترتكز على الحوار والمشاركة، مما يعكس روح الديمقراطية التي تتجاوز حدود السلطة المطلقة إلى مساحة فكرية تجمع بين العقلانية والإنسانية.

لم يقتصر الأمير على إدارة شؤون الدولة من وراء الكتفة، بل قام بحملات توعية ميدانية، "إذ باشر عهد توليته بالشروع في زيارات ميدانية تنقّل من خلالها عبر أرجاء البلاد، متلقياً البيعة الشعبية ومعرفاً بنفسه" (عشراتي سليمان، 2009: 120). فقد كانت زيارته للقبائل خطوة استراتيجية وفلسفية في آن واحد؛ إذ سعى من خلالها إلى ترسيخ فكرة الولاء للدولة وخدمة الوطن، مؤكداً أن الهوية الوطنية تتخطى الانتماءات الشخصية لتصبح رسالة إنسانية تهدف إلى رفع شأن الأمة.

ولم يخلُ مسيرته من التحديات، إذ واجه الأمير صعوبات في بناء الدولة الحديثة نتيجة الصراعات الداخلية وتعدد القبائل، وعدم وجود حاكم جزائري رئيسي قادر على توحيد الصفوف. وقد ورد في ذلك قوله: "في مقاطعة وهران كانت تلمسان يحكمها ابن نونة الذي لم يكن يعترف إلا بسلطان المغرب، وشمال البلاد كان يستجيب لرؤساء قبائل المخزن — مصطفى بن إسماعيل والمزري- ... وأوامر عبد القادر لم يستجب لها لا ابن نونة ولا رؤساء الدوائر والزماله" (عشراتي سليمان، 2009: 63). هنا تتجلى مسألة الوحدة

الوطنية كقضية فلسفية عميقة، تتطلب من كل فرد في المجتمع أن يتجاوز الانقسامات الضيقة ليصل إلى حالة من التكامل الروحي والفكري.

في جوهره، يمثل الأمير عبد القادر نموذجاً فريداً للحاكم الذي لا يقتصر دوره على إدارة (التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية) فحسب، بل يتعداه إلى بُعد فلسفي يُعيد للإنسان قيمته في سياق الوطن والوجود، ويسعى لتحقيق توازن بين الإرث التاريخي والمستقبل المنشود، مما يجعل من حكمه رمزاً للتجديد والنهضة الوطنية القائمة على أسس إنسانية وروحية سامية.

من أهدافه الأولى التي ركّز عليها الأمير كانت لِمَ الشمل وضم القبائل الجزائرية إلى دولته قبل أن يضمّها المستعمر إليه، "إذ كان يرى في نشر النفوذ على الصعيد القاري للوطن، شرطاً مهماً يكرّس السيادة ويعطي الدولة مكانتها ويلحّم بين جهاتها وأهاليها ويدفع أطماع الاحتلال" (عشراتي سليمان، 2009: 132). هنا تجلّت رؤية فلسفية تتجاوز مجرد الإدارة السياسية لتصبح دعوة للوحدة الوجودية التي تعكس صراع الإنسان مع القوى الخارجية التي تسعى لتفكيك كيانه وهويته.

ومن بين التخطيطات الأولى للأمير، حتى يُعترف بسيادته من قبل الفرنسيين وغيرهم، كانت توسيع الرقعة الجزائرية ومحاولة ضم القبائل المنفصلة عن المجموع وجعلها تابعة للدولة الجزائرية وخاضعة لقوانينها؛ ومن جهة أخرى، توحيد أفراد الجزائريين والقبائل المتناحرة فيما بينهم والتكتل، وهو ما يخشاه المستعمر ولا يريده. إذ تكمن الفكرة الأساسية التي سطرها الأمير في الانتقال من الولاء للقبيلة إلى الولاء للدولة، فالمجتمع المتمزق بالقبلية يشبه الإنسان المفكك الذي يضيع روحه في التشتت، بينما الوحدة الوطنية تُمثل الكيان الفلسفي الذي يعيد للإنسان كرامته وإحساسه بالانتماء. فقد كان واضحاً أن بقاء المجتمع على شكل قبائل متناحرة يؤسس للتشتت ويهدم فكرة الوحدة الوطنية، مما يستدعي رؤية عميقة تتجاوز المصالح الفردية لصالح رسالة إنسانية سامية.

ولتحقيق ذلك، سعى الأمير لتوحيد جميع القبائل انطلاقاً من فكرتين أساسيتين:

أنّ كلكم تشركون في الدين الواحد، وبالتالي يكون اجتماعكم هو الفاصل في تحديد الحقوق والواجبات، وأي مشكلة تقع يكون المرجع الأول لحلها هو الكتاب والسنة؛ كما أنّ هذا الدين نفسه يدعوكم للأخوة والوحدة.

أنّ أرض الجزائر هي أرضكم جميعاً، لذا يجب على كل القبائل أن تتحد ضد العدو.

وقد خاطب الأمير القبائل قائلاً: إن بقيتم متناحرين فيما بينكم، ستجدون هذه الأرض ملكاً لأشخاص مختلفين عنكم في الدين والأصل. هنا يتجلى البعد الفلسفي في تأكيده على أن الهوية لا تُستمد من العرق أو النسب، بل من قيمة مشتركة تُرتقي بالروح نحو تحقيق المصلحة العليا للوطن.

ولم يكن هدف المستعمر في الجزائر إلا تحقيق مصالحه الشخصية وطمس الهوية الجزائرية والاستيلاء على الثروات؛ فأصبح الدين الإسلامي منهج الأمير في تسيير المجتمع، إذ اختاره لأنه دينهم وأغلبهم مقتنع به، وليس غريباً عنهم بحيث يكون محل قبول من بعضهم ومحل رفض من البعض الآخر، "فلقد صدع فيهم من أول لحظة بأن مرجعيته ستكون الكتاب والسنة وأن شريعته هي شريعة القرآن" (عشراتي سليمان، 2009: 41). وهنا يتضح أن الدين لم يكن مجرد إطار تشريعي بل فلسفة حياة شاملة تحمل في طياتها دعوة للعودة إلى المبادئ الأخلاقية والإنسانية التي تقيم جسور التواصل بين أفراد المجتمع.

كما سعى لتحقيق السلم والأمان واستمالة العصاة، وإن لم ينجح معهم الحل السلمي، كان يضطر إلى ردعهم بكل الوسائل حتى لا يخونوه مع المستعمر. والبعد الأسمى الذي كرس له كل إمكانياته المادية والمعنوية هو تأسيس دولة جزائرية حرة مستقلة، دولة تركز على مبادئ العدالة والوحدة والإنسانية، وتكون بمثابة تجسيد للفلسفة التي تضع الإنسان ومصيره في قلب البناء الوطني.

في إطار حملاته التوعوية الشخصية، قام الأمير ببدء رحلته الميدانية منذ توليه الحكم، " إذ باشر عهد توليته بالشروع في زيارات ميدانية تنقل من خلالها عبر أرجاء البلاد، متلقياً البيعة الشعبية ومعرفاً بنفسه" (عشراتي سليمان، 2009: 120). هنا لا يقتصر دوره على كونها مجرد جولات سياسية، بل كانت بمثابة رحلة فلسفية نحو تجسيد مفهوم المسؤولية والإنسانية؛ إذ يُعبّر عن إرادة جمع شمل الأمة واستنهاض روح الانتماء لدى أبناء الوطن.

واجه الأمير عبد القادر تحديات كثيرة في بناء الدولة الحديثة نتيجة الصراعات الداخلية وتعدد القبائل وعدم اتحادها وتقاهمها، فضلاً عن غياب حاكم جزائري رئيسي ينظمهم ويوجههم، كما يتضح في قوله: "في مقاطعة وهران كانت تلمسان يحكمها ابن نونة الذي لم يكن يعترف إلا بسلطان المغرب، وشمال البلاد كان يستجيب لرؤساء قبائل المخزن — مصطفى بن إسماعيل والمزري- ... وأوامر عبد القادر لم يستجب لها لا ابن نونة ولا رؤساء الدوائر والزماله" (عشراتي سليمان، 2009: 63). هنا يظهر التحدي الوجودي

الذي يواجه الأمة الممزقة، والتي تحتاج إلى توحيدها برؤية فلسفية شاملة تركز على الوحدة والعدل.

ومن بين التخطيطات الأولى للأمير، حتى يعترف الفرنسيون وغيرهم بسيادته، كان توسيع الرقعة الجزائرية ومحاولة ضمّ القبائل المنفصلة عن المجموع وجعلها تابعة للدولة الجزائرية وخاضعة لقوانينها؛ ومن جهة أخرى، توحيد أفراد الجزائر والقبائل المتناحرة فيما بينهم والتكتل، وهو ما يخشاه المستعمر ولا يريده. إذ إن الفكرة الأساسية التي سطرها الأمير كانت الانتقال من الولاء للقبيلة إلى الولاء للدولة؛ لأن بقاء المجتمع على شكل قبائل متناحرة يؤسس للتشتت ويهدم فكرة الوحدة الوطنية. هنا تُستحضر فلسفة الوحدة التي تتجاوز الاختلافات الفردية لتكوين كيان متماسك يُعبّر عن روح الأمة.

وبذلك عرف جميع الجزائريين منذ بداية المسيرة السياسية للأمير أن دولتهم جزائرية عربية إسلامية، مما سهّل عليه حل إشكالية العصبية القبلية والإيديولوجية التي كانت تتمسك بها كل قبيلة. لم يتولّ الأمير مسؤولية الأمة لأغراض سياسية أو مصالح خاصة، بل لأبعاد إنسانية سامية، إذ حمل أمر البلاد لدرء الفساد والفوضى بين أفراد مجتمعه بصفة خاصة وبين بني الإنسانية بصفة عامة.

وعندما تمت مبايعة الأمير عبد القادر لتولي مهمة إمارة البلاد، وضع مشروعا تبعا لذلك يسير عليه، سعى من خلاله إلى تحقيق مجموعة من الأبعاد، من بينها توحيد شوكة المسلمين. ولكي يجتمع الشمل، لا بدّ من إيجاد الهدف الواحد والعنصر المشترك الذي يجمعهم، فوجده الأمير في وجوب التضامن لطرد الغريب المستعمر؛ وهذا ما يمكنهم من دفع المستعمر للاعتراف بدولتهم وبأميرهم. وإن في الاتحاد قوة، وكل هذا يكون في صالح الجزائريين ويرعب الفرنسيين. إن هذه الرؤية لم تكن مجرد استراتيجية سياسية، بل كانت فلسفة حياة تركز على مبادئ التضامن والوحدة التي تجعل من المجتمع كياناً قادراً على مواجهة كل محاولات التفكيك والتمزيق.

ولا ينبغي الإشارة إلى أن الأمير لم يكتفِ بتقوية العلاقات الداخلية، بل عمل أيضاً على تقوية العلاقات الخارجية، ولا سيما مع إخواننا المغاربة وكذلك الإسبان والإنجليز وغيرهم. كما باشر في تسيير دولته معتمداً على آلية الجدل النازل والصاعد، أي نزول الأوامر والقرارات من الأمير إلى نوابه ومسؤوليه، وتصاعد الأعمال المنجزة والفصل في القضايا من مساعديه إليه. ولم يكن الأمير ديكتاتورياً مع أجهزته الإدارية، بل لم يتخذ قراراته إلا بعد مشاوراتهم، مما يعكس رؤية فلسفية قائمة على الحوار والتشارك في صنع القرار.

كما سعى لتحقيق السلم والأمان واستمالة العصاة، وإن لم ينجح معهم الحل السلمي، كان يضطر إلى ردعهم بكل الوسائل حتى لا يخونوه مع المستعمر. وكان البعد الأسمى الذي كرس له كل إمكانياته المادية والمعنوية هو تأسيس دولة جزائرية حرة مستقلة، دولة تركز على مبادئ العدل والوحدة والكرامة الإنسانية.

ولم يقتصر الأمير على الجانب السياسي فقط، بل أعطى مكانة للمجال الاجتماعي؛ حيث سعى إلى تأسيس مجتمع إسلامي له هويته الوطنية التي تتمثل في أن أرضه ودولته الجزائر، ولغته العربية، ودينه الإسلامي. كما حرص على فتح مجال لممارسة الزراعة باستخدام الأراضي الوطنية الصالحة للزراعة، مما يحقق الاكتفاء الذاتي ويقلل الاعتماد على الاستيراد والتبعية لدول أخرى. وهنا يُظهر الأمير بعداً فلسفياً يرتكز على فكرة أن التنمية ليست مجرد مؤشرات اقتصادية، بل هي تحقيق للهوية والكرامة الإنسانية التي تسمح لكل فرد بالمساهمة في بناء مستقبل مشرق لوطنه. في سياق سعيه لإحياء الأمة وترسيخ قيم الحضارة، كانت فكرته في إنشاء دولة مسلمة حقيقية وفق النموذج الموروث عن الأقدمين، تتجاوز حدود الزمان والمكان لتكون منارة للعلم والعدل والإخاء؛ إذ رأى في إقامة هذه الدولة الأساس الذي يُبني دروب الأمة في مواجهة العدو في كل مكان. وهكذا، ولضمان بقاء جذوة الدين مشتعلة قادرة على مجابهة كل تحدٍ، "فكرته كانت في إنشاء دولة مسلمة حقيقية وفق النموذج الموروث عن الأقدمين... ولكي تتقد جذوة الدين التي يمكن بها وحدها مجابهة العدو في كل مكان... فقد أقيمت المدارس التي يُعلّم فيها الأولاد إقامة الصلاة وأهم إرشادات القرآن الكريم إلى جانب القراءة والكتابة..." (برونو إيتين، 2001: 162).

إن هذا المشروع التربوي لم يكن مجرد إجراء إداري بحث، بل كان تجسيداً لفلسفة إنسانية عميقة؛ إذ أدرك الأمير أن العلم هو البوابة التي يطل منها الإنسان على أفق التجديد والتقدم، وأن العلماء هم رموز الحكمة والرفي. فقد اهتم بالأمر بشكل شخصي، مؤمناً أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إن العالم الواحد أعلى درجة من ألف متعبد، مما يبرز أن العلم في نظره هو السبيل لتحقيق الانسجام الاجتماعي والارتقاء بالإنسانية.

وقد أولى الأمير قطاع التعلم عناية خاصة، فجعل التعليم مجانياً وبمبتناول الجميع، معتمداً نظامين مبتكرين في ذلك الوقت؛ فقد أدخل نظام الوجبة الغذائية المدرسية على الصعيد العام، وخصص مبالغ لمساعدة طلاب العلم وشيوخ الزوايا، ورعاية المؤسسات الدينية والثقافية، ومد يد العون لسلك العلماء الفقهاء والمدرسين " (جورج الراسي، 2008: 41). وفي هذا الإطار، برز البعد الفلسفي الذي يستند إلى الاعتقاد بأن الإنسان

المتعلم لا يقتصر دوره على تلقي المعرفة، بل يصبح قادراً على التغيير والتحول والتواصل مع الآخرين بروح الحوار والنقد البناء، متخطياً حدود التعصب الذي يقيد الفكر.

ولم يقتصر اهتمام الأمير على التعليم الرسمي فقط، بل كان له أوامر تربوية تتعلق بتطوير الجانب الديني والتربوي؛ فقد أمر بأن "أولئك الذين يتغنون قدراً أكبر من التقدم في دراستهم يرسلون مجاناً إلى الزوايا والجوامع، فكانوا يجدون فيها طلبة قادرين على تكوينهم في التاريخ وعلوم الدين" (عبد القادر بوطالب، 2009: 104). وقد كانت الزوايا والمساجد تعتبر منارة لتجميع العلماء والمتعلمين، حيث تُبنى فيها أسس البحث العلمي والتفكير النقدي، وهو ما يؤكد على أن الحضارة لا تُبنى إلا على أسس معرفية راسخة.

وقد قدس الأمير العلم والعلماء، مقتدياً بتعاليم دينه الإسلامي؛ فكما أن أول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من الكامل العارف الخالق هو "اقرأ"، كانت إحدى الأهداف الأساسية التي سعى إليها نشر العلم، مدرّكاً أن الحضارة تُبنى من خلال المثقفين، وأن صناعة إنسان متحضر أمر سهل إن وجدت المعرفة، بينما يصعب بناء مجتمع متحضر في غيابها. إذ إن المتعلم يقبل النقاش والنقد والنصيحة مبنياً على الحجج والعقل، على عكس المتعصب الذي يظن أن الحقيقة ملكه وحده.

ومن الأخلاقيات التي فرضها الأمير في حكومته، عدم السماح للرجال بالترزين بالذهب والفضة، إذ كان ذلك جزءاً من مبادئه الدينية والوطنية؛ "ولأنه كان معادياً للبذخ، حرم استعمال الذهب والفضة للزينة باستثناء النساء، ولم يصدر ذلك عن طابعه الزهدي فقط، بل أيضاً عن اعتقاده العميق بأن الغاية الشرعية لهذه المعادن الثمينة هي الخزينة العمومية بغية تحقيق رفاهية الجماعة وتنميتها" (محمد الشريف السحلي، 2003: 199). فقد رأى في هذا القرار تجسيداً لفلسفة أن رفاهية الوطن هي أولى أولويات المواطن الصالح، ولا يمكن أن يُعلي عن ذلك الكماليات الشخصية في وقت الحرب أو الحاجة.

ولم يقتصر الأمير على المجال التربوي والاجتماعي فقط، بل اهتم أيضاً بالجانب العسكري والاقتصادي؛ فقد كون جيشاً منظماً يرتدي الزي الموحد ويتقاضى راتباً شهرياً، وفي الوقت نفسه شجع على النشاط الزراعي والصناعي، مركزاً على تطوير الاقتصاد وخاصة الصناعة الحربية. وكشف ذلك عن رؤية شمولية تجمع بين الدفاع عن الوطن وتنميته، من خلال الحوار مع الفرنسيين في إطار محاولات التوصل إلى حلول سلمية، كما يوضح القول: "ومما نسجله هنا هو أنّ عملية الحوار بين الأمير عبد القادر وبين الفرنسيين قد استرسلت منذ عهد الكفاح المسلح" (عشراتي سليمان، د(ت): 19).

إن قدرة الأمير على الحوار والتفاوض مع مختلف الأطراف، سواء كانوا من الطبقات المختلفة داخل الوطن أو من القوى الخارجية، تُظهر عمق اطلاعه المعرفي وتنشئته الاجتماعية؛ فهو ابن محي الدين والزاوية التي كانت ملتقى للعارفين من داخل الوطن وخارجه. فقد أرسل للأجنحة العسكرية رسالة إلى الجنرال بيجو، "حيث قال له فيها بأن لديه رغبة لكي تكون العلاقة بينهما مبنية على الأمن، وأن يكون تجّاركم في وطننا كما هو تجّارنا موجودون عندكم، وهو ينتظر مشاركته في مشاريع مهمة (Ahmed Zouzou, 2009: 89)".
بناء علاقات إنسانية قائمة على العدالة والإنصاف.

ومن صفات الأمير الحاكم السياسي الروح الإنسانية السامية؛ إذ قبل المبادلات التجارية حتى مع المستعمر، معززاً بذلك فكرة الاستفادة المتبادلة بين الشعوب، سواء في سعيه لتحصيل منتجات ناقصة لدى شعبه أو لتوسيع العلاقات الإنسانية بين الأمم. وفي هذا السياق، خاطب الأمير ماريشال بيجو قائلاً: "ودولتكم تدّعي أنّها أول دولة في العالم تحبّ الإنصاف وتستعمله وتحافظ على ميزان العدل وتحكم به، ففعلها هذا يكذب دعواها" (الأمير عبد القادر الجزائري 1964: 396).

وكان هدف الأمير من خلال عقد الصلح مع ديميشيل تعزيز الوحدة الوطنية وبناء دولة عصرية؛ فقد قال: المهمة التي كلّفني بها الشعب العربي هدفها إقامة حكومة منظمة تُطمئن الصالحين المخلصين وتُرعب المتنكرين. واستغل الأمير فترة السلم في تأسيس دولة منظمة، مؤمناً بأنه لا مقاومة ناجحة دون وجود دولة موحدة، وأن تجسيد الديمقراطية يتطلب توحيد قلوب الجزائريين وتوحيد كلمتهم من خلال أسلوب الحوار والنقاش.

ولعبت معاهدات الصلح مع الفرنسيين دوراً مهماً في ترسيخ مكانة الأمير، إذ أوضحت أن "فمن شأن مهادنة فرنسا للأمير أن تقوّي من مكانته — كقائد للوطن — أمام الدول لا سيما الأشقاء، ممّا سيحملهم على أن يراجعوا سياسة التجاهل أو الانتظار التي اتبعوها إزاءه" (عشراتي سليمان، 2009: 265). وكان هذا الحدث بمثابة اعتراف عالمي بسلطته وأهمية قيادته، مما دفع بعض الحكام إلى مراجعة سياساتهم والتفكير في ضرورة التعاون مع هذا القائد الذي جمع بين الحكمة والمعرفة والروح الوطنية.

ومن الدلائل الواضحة على أن حكمه بُني على مبدأ الشورى، أن "كان المجلس الاستشاري يجتمع للنظر في مسائل الهدنة والحرب... من ذلك الاجتماع الذي جرى قرب مليانة لرفض الموافقة على تعديل معاهدة التافنة حسب الاتفاق الجديد (1838/07/04)،

وكذلك الاجتماع الشوري الذي جرى لإعلان الجهاد ضدّ العدو، بعد اجتياز الجيش الفرنسي أبواب الحديد (نوفمبر 1839)" (عوني أحمد وآخرون، 1996: 82). فحتى عندما رفض المجلس تعديل الاتفاق، قال الأمير للفرنسيين: "ولرغبتي في عدم إراقة الدماء بدون مبرر من جانب، ومن جانب آخر فقد كبحت جماح شعبي الذي لا يريد إلا الحرب" (الكلونيل أسكوت، 1981: 207)، مبرزاً بذلك حرصه على حفظ النفس البشرية والابتعاد عن الصراعات المدمرة، في إطار رؤية إنسانية وفلسفية عميقة.

ولم تقتصر اهتماماته على المجالات السياسية والعسكرية فقط، بل كان لديه حس إنساني رفيع تجاه المرأة، إذ بدا واضحاً أنه كان شديد الإباء من رؤية السجينات، معتبراً أن التفكير في أن تصبح المرأة ضحية للحرب هو مصدر قلق دائم؛ ففي موقف طريف، حين أحضر له فرسان أحد خلفائه أربع فتيات كغنيمه هامة، أدار وجهه معبراً عن اشمئزازه وقال بسخرية: "إنّ الأسود تهاجم الحيوانات القوية" (هنري تشرشل، 2009: 263).

بهذا التجسيد الرائع لأبعاد الحكم الرشيد، يتبين أن الأمير عبد القادر لم يكن مجرد قائد سياسي أو عسكري، بل كان صاحب رؤية فلسفية وإنسانية متكاملة سعت إلى نشر العلم وتحقيق الوحدة الوطنية وترسيخ مبادئ الشورى والعدالة، مؤمناً بأن الحضارة تُبنى على المعرفة والحوار، وليس على العنف والتعصب.

في عالم السياسة، تبرز شخصية الأمير كحاكم إنساني متخلق، جمع بين السياسة والأخلاق دون أن يفصل بينهما، نتيجة لتشبعه بالأخلاق الإسلامية وتعاليم الدين. فقد كان يرفض أن يكون من بين أسراه من النساء والشيخوخ والأطفال، وحتى الشاب الذي لا يحمل السلاح، وكل هذا أمرنا به الدين الإسلامي. إذ حدث معه مرة أن جاء له جيشه بأربع نساء أسيرات، فخلج من هذا الأمر وردّهن مع الحفاظ عليهن واحترامهن وإكرامهن. هنا نجد تأكيداً على مبدأ في الدين الإسلامي يقول إنّ الرجال قوامون على النساء؛ إذ كان الأمير يرى في المرأة أسيرة رمزاً للضعف يستوجب حماية الرجل، في تناقض مع كثير من رجال عصرنا الحالي الذين يختفون خلف النساء ويطالبون حمايتهن دون أن يؤديوا واجباتهم. هذا التناقض يبرز البعد الفلسفي العميق في مفاهيم القوة والرحمة والواجب، حيث تُعتبر الإنسانية في جوهرها ميداناً للتضحية والكرامة.

يمكن تقسيم مقاومة الأمير إلى ثلاث فترات:

"فترة القوة: 1832-1837: وفيها تمكن الأمير من بسط نفوذه على مختلف القبائل وإخضاعها حتى يتسنى له مواجهة الفرنسيين بجهة قوية، تعيين معسكر عاصمة له واستيلائه على ميناء أرزيو" (إبراهيم مياشي، 2012: 18).

في المرحلة الأولى من جهاد وسياسة الأمير، حقق امتيازات جمة كان لها أثر بالغ ليس فقط على أرض الواقع، بل أيضاً على الوجدان الوطني، إذ ساهم في توحيد القبائل الجزائرية التي كانت تتصارع فيما بينها، وتحديد معسكر عاصمة للبلاد، وإبداء التميز في حرب العصابات، وإنشاء الديوان العسكري الذي احتوى على مختلف القوانين العسكرية، وتكوين جيش نظامي يحتوي على تخصصات مختلفة، بالإضافة إلى توسيع المساحة التابعة له. ونظراً لهذه الإنجازات، عُرض عليه الفرنسيون معاهدة "دي ميشال"، وقد تحققت كل هذه النجاحات في فترة لا تتعدى خمسة سنوات؛ مما يؤكد أن القوة الحقيقية لا تقاس بالعمر أو العدد، بل بمبادئ سامية وروح لا تقهر.

"ب - مرحلة الهدوء المؤقت: 1837-1839: استغل الأمير عبد القادر معاهدة التافنة لتعزيز قواته العسكرية وتنظيم حكومته من خلال الإصلاحات الإدارية والعسكرية" (إبراهيم مياسي، 2012: 19).

استغل الأمير هذه الفترة الهادئة في تشكيل المجالس؛ منها مجلس وزاري ومنها مجلس شوري، وتقسيم البلاد إلى ولايات ودوائر وقبائل، وهو التقسيم الذي ما زال يؤثر حتى اليوم. كما قام بتنويع مصادر مداخيل الميزانية من خلال نظامي الزكاة والضرائب، واستثمر هذه الموارد في أمر الجهاد. كما أسس علمًا خاصًا، وهو رمزٌ لاستقلالية الدولة؛ إذ لا علم لدولة إن لم تكن ذات سيادة حقيقية. وقد تحققت كل هذه الإنجازات في فترة قصيرة لا تتعدى سنتين، مما يبرز أن السلم الداخلي والعدالة الإدارية هما من الأسس التي تُرسخ الأمان والاستقرار؛ إذ أصبح أمن التراب وشرطة الأسواق والمرور مضمونة إلى درجة أنه لم تُطارد قافلة واحدة في الليل، وكانت المرأة تستطيع الخروج بمفردها دون أن تتعرض لأذى يُذكر، وتحسنت الأخلاق بشكل ملحوظ. هذا الإنجاز يؤكد أن السياسة ليست مجرد صراعات وحروب، بل هي بناء مجتمع يسوده السلم والأخوة والعدالة.

"ج - المرحلة الصعبة من المقاومة: 1839-1847: عمد المارشال فالي إلى خرق معاهدة التافنة بعبور قواته الأراضي التابعة للأمير... ثم التخلي عنه من طرف ملك المغرب" (إبراهيم مياسي، 2012: 20).

في هذه المرحلة، تراجعت قوة الأمير بسبب ظروف عدة، ومن أهمها توقف سلطان المغرب عن مساندته. هنا يظهر الجانب الفلسفي في حقيقة أن النصر ليس دائمًا ملكًا لمن يمتلك القوة الجسدية فحسب، بل يعتمد على الوحدة والصدق في الوفاء بالعهد.

3- سجن الأمير وإشرافه على صلح الستينات

أوقف الأمير حكمه في الجزائر لأسباب عدة، فهو "لم يستسلم ورفض العيش في فرنسا وامتلاك القصور" (الأميرة بديعة حسني الجزائري، 2002: 10). إن الأمير الحاكم السياسي المحنك لم يستسلم، بل قرّر إيقاف الحرب؛ وهذا القرار يعكس حكمته السياسية العميقة إذ درس الوضع في تلك الظروف وتوصل إلى أن القدرات الفرنسية تفوق بكثير القدرات الجزائرية، وأن الأخيرة ليست كفوءة للمواجهة والدفاع عن النفس، إضافةً إلى تعرضه للخيانة من داخل الوطن وخارجه، واستيلاء الفرنسيين على عاصمته وسقوط الزمالة. لذا، صمّم الأمير، بالتشاور مع من بقوا أوفياء له، الخروج إلى دمشق. ولكن، غدر به الاستعمار وسجنه في سجن أمبواز بفرنسا. وما يُذكر هنا هو أن حتى في السجن لم يستسلم، بل واصل جهاده بالقلم؛ فكتابه المقرض ما هو إلا دفاع عن الدين الإسلامي وعن الإشاعات التي نسبت إليه. ولأنه كان ذا قيم إنسانية رفيعة، رفض الأمير الإغراءات التي عرضها عليه الفرنسيون، مثل منحه قصوراً للعيش فيها. جاهد الأمير الاستعمار الفرنسي داخل الجزائر وخارجها، بالسيف وبالقلم، مؤكداً أن النبيل الحقيقي يكمن في التضحية من أجل الوطن وليس في التنازل عن مبادئه.

كان همّه الأول مصلحة الوطن عامة وليس مصلحته الشخصية؛ فقد أوفى الأمير بعهده. ولو كان راغباً في سلامته ومصيره فقط، لكان بإمكانه النجاة واستغلال منصبه السياسي لإظهار أنه ضدّ الفرنسيين، بينما هو في الحقيقة يتفاهم معهم ويخون وطنه. بدلاً من ذلك، خاطر نفسه دون أن يخاف من فرنسا ولا الموت في ساحة القتال. فقد عرض عليه الفرنسيون الذهب والأموال مقابل التوقف عن تخطيطاته الجهنمية وساسة البلاد المحنكة، لكنه رفض ذلك حباً لوطنه ووفاءً لمنصبه وطاعةً لربه، ورفض حتى عرضهم المتمثل في السماح له بالخروج مع عائلته والعيش بسلام وترك مواطنيه. في هذا التضحي يظهر البعد الفلسفي في مفهوم البطولة: إن البطولة لا تُقاس بالمكاسب الشخصية، بل بقياس مدى التفاني في خدمة الإنسانية والوفاء للعهد.

عاش الأمير عبد القادر بعد أن أطلق سراحه من سجن أمبواز في دمشق، حيث وقع صراع طائفي في سوريا. لعب الأمير دوراً كبيراً في حقن الدماء ورفض الصراع، وسعى جاهداً في محاولة إخماد الفتنة وتحقيق المؤاخاة بين النصارى والمسلمين. فلو كان حقوداً لثار من النصارى الذين استولوا على أرض الجزائر، لعذبوا وقتلوا ودمروا، وخانوا الوعد معه وسجنوه؛ لكن شهامته ورجولته وأخلاقه الإنسانية فرضت عليه المبادرة إلى الصلح. والأكثر من ذلك، أنه نصر الدولوز وقال للمسلمين: إن الأرض أرض الله، والنصارى هم خلق الله، ولا يمكن طردهم لأنهم لم يأتوا من أجل الحرب. كما سهر الأمير العديد من الليالي دون نوم كافٍ، فشهد له العالم بهذا الموقف الإنساني وقمة الرجولة

والأخلاق؛ إذ تلقى العديد من رسائل الشكر والتقدير، وزادت شهرته عالميًا، حتى إنه في الولايات المتحدة الأمريكية تم تسمية إحدى الشوارع باسمه. تجلّت الأخلاق الإنسانية بوضوح في شخصيته عندما تكفل بصالح السنينات، "إذ هبّ الأمير يجمع الرجال المغاربة ويرسلهم إلى الأحياء المسيحية لرد المهاجمين ودعوتهم إلى التعقل، وفتح بيته للفارين من النصارى" (بن السبع عبد الرزاق، د(س): 57).

4-الدولة بين الهوية والحادثة: نتائج وآفاق

يمثل الأمير عبد القادر ظاهرة وجودية تتجاوز ثنائية الهوية والحادثة، فمشروعه لم يكن مجرد رد فعل على الاستعمار، بل محاولةً لتأسيس كينونة سياسية تجسد التوليف الجدلي بين الروحي والمادي. لقد انطلق من وعي بضرورة تشكيل الذات الجمعية كمركب ثقافي يستمد شرعيته من الموروث الإسلامي والعربي، دون أن ينفلق على إملاءات العصر، بل يتحول إلى فاعل في صياغة أخلاقيات الحداثة من داخلها.

على صعيد الحكم، حول السلطة إلى مشروع عقلاني، فأسس نظاما مركزيا يجسد التناغم بين الإرادة الفردية والإرادة العامة، عبر مجلس استشاري يجسد حكمة الجماعة، وجيش نظامي يحوّل الفوضى إلى انضباط مؤسس. أما اقتصاديا، فلم ير في المال سوى أداة لتحقيق التوازن الوجودي، فنسق بين ضرورات البناء المادي (الضرائب، الزراعة) وحاجات الروح، محوّل الاقتصاد إلى معادلة وجودية توفق بين الموارد والإنتاجية.

في المجال الثقافي، تجلّت رؤيته كجدلية الحفظ والتجديد؛ فالهوية عنده ليست متحفا للذاكرة، بل حقلًا خصبا للتفاعل مع المعارف الحديثة. لقد رفض انفصاما ثقافيا بين الأصالة والمعاصرة، معتقدا أن الشرط الحضاري يقتضي استيعاب التناقضات دون ذوبان.

لكن مشروع اصطدم بتناقضات وجودية : ضعف الإمكانيات كشف هشاشة البنى الداخلية أمام قوة استعمارية تملك أدوات العصر، ومع ذلك، بقي فكره إشكالية مفتوحة تحفز على التساؤل: كيف يمكن للدولة أن تكون حاملة لمشروع ثقافي يوازن بين الذات والآخر؟

اليوم، تتحول تجربة الأمير إلى سؤال فلسفي حي حول إمكانية بناء كيانات سياسية لا تدوب في العولمة، ولا تنغلق على ذاتها. إنها دعوة لإعادة تخیل الدولة كفضاء للتفاعل بين المطلق (الهوية) والنسبي (الحادثة)، حيث تصاغ الشرعية ليس من القوة فحسب، بل من القدرة على الجمع بين الوعي التاريخي والإرادة المستقبلية.

الخاتمة:

يُعد تأسيس الأمير عبد القادر للدولة الجزائرية الحديثة إنجازًا عظيمًا وفريدًا من نوعه؛ فقد تمكن هذا الشاب في مقتبل العشرينات من بناء دولة مقسمة إلى مناطق، لكل منها رئيس يحل مشكلاتها، مع إيلاء اهتمام بالغ للعلم؛ إذ قام بإعفاء العلماء من العقوبة مما يدل على تقديره للبحث العلمي. كما بنى المدن والمصانع وشجّع على الإنتاج الوطني، ووحد القبائل المتناحرة، وقدم صفوف الحرب، وواجه المستعمر من خلال التفاوض وفرض شروطه، وتراسل وحاور حكام مناطق مختلفة. تميّز الأمير بحنكته السياسية واستراتيجياته العسكرية، وتجلّت فيه صفات التواضع والأخلاق الإسلامية والروح الإنسانية؛ فقد كان صديقًا حتى للفرنسيين. عندما نقول إن الأمير أسس الدولة الجزائرية الحديثة.

يمكن القول إن الأمير عبد القادر هو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، وهو شخصية موسوعية عالمية تستحق الدراسة والبحث بعمق؛ إذ يجسد في شخصيته تلك المفارقة الفلسفية بين القوة والرحمة، بين النضال من أجل الحرية والتمسك بالمبادئ الإنسانية العليا.

الهوامش والمراجع:

المراجع:

بن داهة -أسكوت، (1981)، مذكرات الكلونيل أسكوت عند إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، الجزائر: مركب الطباعة.

- الأميرة بديعة حسني الجزائري ، (2002)، وما بدلوا تبديلا تفاصيل دقيقة عن جهاد الأمير عبد القادر وهجرته ودولته، دمشق: دار الفكر.

برونو، إيتين، (2001)، عبد القادر الجزائري، الرواية: مؤسسة الاتصال والنشر والإشهار.

بن السبع، عبد الرزاق، (د.ت)، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، الكويت: مؤسسة مسعود الباطني للإبداع الشعري.

بديعة بوطالب ، عبد القادر، (2009)، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية - من الأمير عبد القادر إلى حزب التحرير، منشورات دحلب، الجزائر.

تشرشل، هنري، (2009)، حياة الأمير عبد القادر، الجزائر: دار المعرفة.

-الراسي، جورج، (2008)، الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد القدر، دار القصة للنشر.

-الشريف السحلي، محمد، (2003)، الأمير عبد القادر أباطيل فرنسية وحقائق جزائرية، تع: حبيب شني، الجزائر: دار القصة للنشر.

-عبد القادر الجزائري، (1964)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، بيروت: دار اليقظة العربية.

-عشراتي، سليمان، (2009)، الأمير عبد القادر المفكر، وهران: دار الغرب.

-عشراتي، سليمان، د (ت)، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل الأمير عبد القادر، دار الغرب، وهران.

-عوني، أحمد، (1996)، الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، الجزائر: مطبعة دحلب.

-مياشي، إبراهيم، (2012)، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية، الجزائر: دار هومة.

- Zouzou, Ahmed, (2009), correspondance de l'Emir Abdelkader, Alger: edition houma .